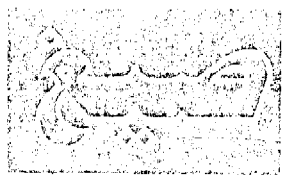

المبالغة في القرآن المجيد

الدكتور أحمد جمال العمري

شاء الله — تبارك وتعالى — أن يكون كتابه معجزة فى البلاغة والأسلوب ، والنظم ، الى جانب اعجازه فى تأثير الهداية ، وفى كشف الحجب عن الغيوب الماضية والمستقبلة .

ومن أروع آيات الاعجاز البلاغى .. ماجاء فى القرآن على صيغ المبالغة ، بقصد التهويل والتفخيم . والمبالغة .. كما عرفها أهل البيان : هى الدلالة على كبر المعنى على جهة التغيير عن أصل اللغة لتلك الابانة ، أى أن يذكر المتكلم وصفا يزيد فيه حتى يكون أبلغ فى المعنى الذى قصده ..

أو هى — كما يقول الامام الباقلانى : « الدلالة على كثرة المعنى » .

وقد عرفها ابو هلال العسكرى بقوله(١) : « المبالغة أن تبلغ بالمعنى أقصى غاياته ، وأبعد نهاياته ، ولا تقتصر فى العبارة عنه على أدنى منازله ، وأقرب مراتبه » . وضرب لها مثلا — من قول الله سبحانه : (يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وماهم بسكارى)(٢) ، وقال : « لو قال القرآن .. تذهل كل امرأة عن ولدها لكان بيانا حسنا ، وبلاغة كاملة ، وانما خص المرضعة للمبالغة ، لأن المرضعة أشفق على ولدها لمعرفتها بحاجته اليها . واشغف به لقربه منها ، ولزومه لها ، لا يفارقها ليلا ولا نهارا ، وعلى حسب القرب تكون المحبة والألفة » .

وقوله تعالى : (كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء)(٣) .. ولو قال القرآن : « يحسبه الرائى لكان جيدا ، ولكن لما أراد المبالغة ذكر الظمآن ، لأن حاجته الى الماء أشد ، وهو على الماء أحرص » .

---

(١) الصناعتين ص ٢٧٨ .
(٢) الحج ٢
(٣) النور ٣٩

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

ولقد وردت المبالغة فى القرآن المجيد على وجوه كثيرة :

الوجه الأول : المبالغة فى الصفة المعدولة ..

ومن هذا الوجه ابنية عديدة :

● منها : **فعلان** .. كرحمن . من مثل قوله تعالى :

« قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى »(٤) « فرحمن » صفة معدولة عن « راحم » للمبالغة . ولا يجوز أن يوصف به الا الله عز وجل ، لأنه يدل على معنى لا يكون الا له سبحانه ، وهو معنى « وسعت رحمته كل شيء » .

قال بعض العلماء : لقد غلطوا فى تفسير **« الرحمن »** حيث جعلوه بمعنى « المتصف بالرحمة » وانما معناه : القدير .. العظيم .. العادل ، بدليل قوله تعالى : « واذا قيل لهم **اسجدوا للرحمن » (٥) وانما يصلح السجود لمن له العظمة والقدرة .**

وقوله « انى أعوذ بالرحمن »(٦) ولا يعاذ الا بالعظيم القادر على الحفظ والحماية .

وقوله عز شأنه : « وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا »(٧) أى وما ينبغى للعظيم القادر على كل شيء المستغنى عن معاونة الولد وغيره — أن يتخذ ولدا .

وقوله جل جلاله : « قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن » (٨) ولا يحتاج الناس الى حافظ يحفظهم من ذى الرحمة الواسعة . فلا مناسبة اذن لمعنى الرحمن فى شيء من هذه المواضع .

● ومن صيغ المبالغة فى الصفة المعدولة « فعيل » كقدير .. ورحيم .. وعليم .. وحكيم .. وحليم وكريم . ويقصد بها المبالغة فى حقه، والنهاية فى صفاته ، وأكثر صفات الحق — سبحانه — جارية على هذه الصيغة .

وقد أثار بعض العلماء قضية علمية حول قوله تعالى : (والله على كل شيء قدير)(٩) وقالوا: ان « قديرا » من صيغ المبالغة ، يستلزم الزيادة على معنى قادر ، والزيادة على معنى قادر محال .

(٤) الاسراء ١١٠
(٥) الفرقان ٦٠
(٦) مريم ١٨
(٧) مريم ٩٢
(٨) الأنبياء ٤٢
(٩) البقرة ٢٨٤

● **والحقيقة** ان المبالغة هنا بالنسبة الى تكثير التعلق — لا بالنسبة الى تكثير الوصف . وكذلك قوله تعالى : (والله بكل شيء عليم) ستحيل عود المبالغة الى نفس الوصف ، اذ العلم بالشيء لا يصح التفاوت فيه ، فيجب صرف المبالغة فيه الى المتعلق ، فيكون من باب اطلاق الجزء ، وارادة الكل .

ومن صيغ المبالغة فى الصفة المعدولة كذلك « فعال » .. كغفار وتواب من مثل قوله عز شأنه : (وانى لغفار لمن تاب)(١٠) .. (وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار)(١١) (فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا) (١٢) .. (غفار) صفة معدولة عن **(غافر)** للمبالغة وكذلك **(تواب)** فى قول الحق : **(فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم)(١٣) وقوله جل وعلا : (وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم) (١٤) .**

● **قال الزمخشرى — فى كشافه — أثناء تفسير سورة الحجرات:« والمبالغة فى«التواب» للدلالة على كثرة من يتوب اليه من عباده ، أو لأنه ما من ذنب يقترفه المذنب الا كان معفوا عنه بالتوبة . أو لأنه بليغ فى قبول التوبة ، نزل صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه ».**

● **ومن هذه الأبنية أيضا « فعول » .. كغفور .. وشكور .. وودود .**

من مثل قوله تعالى : (ان الانسان لظلوم كفار)(١٥) .

ولقد أطربنى قول الحق سبحانه : (وقليل من عبادى الشكور)(١٦) فقلت : الحمد لله الذى ما قال (الشاكر) . فان قيل : قوله تعالى : **(انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا)(١٧)**

قلت : ان نعم الله على عباده كثيرة ، وكل شكر يأتى فى مقابلتها قليل ، وكل كفر يأتى فى مقابلتها عظيم ، فجاء (شاكر) بلفظ (فاعل) ، وجاء (كفور) بصيغه (فعول) على وجه المبالغة .

قال السيوطى :(١٨) « والتحقيق ان صيغ المبالغة على قسمين » :

(١٠) طه ٨٢
(١١) غافر ٤٢
(١٢) نوح ١٠
(١٣) البقرة ٣٧
(١٤) البقرة ١٢٨
(١٥) ابراهيم ٣٤
(١٦) سبأ ١٣
(١٧) الانسان ٣
(١٨) معترك الأقران فى اعجاز القرآن ج ٢ ص ٤١٢

احدهما : ما تحصل المبالغة فيه بحسب زيادة الفعل .

والثانى : بحسب تعدد المفعولات . ولاشك ان تعددها لا يوجب للفعل زيادة ، اذ الفعل الواحد قد يقع على جماعة متعددين ، وعلى هذا التقسيم يجب تنزيل جميع أسماء الله تعالى ، التى وردت على صيغة المبالغة ، كالرحمن .. والغفور .. والتواب ، ونحوها . ولهذا قال بعض المفسرين فى « حكيم » : « معنى المبالغة فيه ، تكرار حكمه بالنسبة للشرائع ». وقالوا أيضا : ان صفات الله التى هى صيغة المبالغة كغفار .. ورحيم .. وغفور .. ومنان، كلها مجاز ، اذ هى موضوعة للمبالغة،ولامبالغة، فيها ، لأن المبالغة هى أن تثبت للشىء اكثر مما له ، وصفات الله تعالى متناهية فى الكمال، لايمكن المبالغة فيها ، كما أن المبالغة تكون فى صفات تقبل الزيادة والنقصان ، وصفات الله تعالى منزهة عن ذلك .

● **والوجه الثانى — من وجوه المبالغة — هو المبالغة بالصيغة العامة فى موضع الخاصة .**

كقوله عز شأنه : (خالق كل شىء)(١٩) .

● **والوجه الثالث : اخراج الكلام مخرج الاخبار عن الأعظم الأكبر للمبالغة .**

وذلك كقوله تعالى : **(وجاء ربك والملك صفا صفا)(٢٠)** ، فجعل مجىء دلائل الآيات مجيئا له على المبالغة فى الكلام .

ومنه قول الحق سبحانه : (فأتى الله بنيانهم من القواعد) . أى أتاهم بعظيم بأسه فجعل ذلك اتيانا له على المبالغة .

● **أما الوجه الرابع : فهو اخراج الممكن الى الممتنع للمبالغة .** أى تجاوز الحد فى المعنى ، والارتفاع فيه الى غاية لا يكاد يبلغها .

كقوله تعالى : **(وبلغت القلوب الحناجر)(٢١)** لأن القلوب لا تقارب البلوغ الى الحناجر واصحابها احياء .

وقوله جل جلاله : **(وان كان مكرهم لتزول منه الجبال) (٢٢)** ، بمعنى لتكاد تزول منه .

وقوله عز شأنه : **(ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط)(٢٤)** — وهذا انما هو على البعيد ، ومعناه : لا يدخل الجمل فى سم الخياط ، ولا يدخل هؤلاء الجنة .

● **والوجه الخامس : اخراج الكلام مخرج الشك للمبالغة فى العدل ، والمظاهرة فى الحجاج.**

من مثل قول الله تعالى :

(وانا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين)(٢٥) — « **وانا أو اياكم** » أى أحد الفريقين، لعلى هدى أو فى ضلال مبين ، مبين فى الابهام تلطفا بهم داع الى الايمان اذ وفقوا له .

ومنه قوله سبحانه : **(قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين)(٢٦)** .

وعلى هذا النحو خرج مخرج قوله تعالى : **(أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا)(٢٧)** — جاء على التسليم أن لهم مستقرا خير من جهة السلامة من الآلام ، لأنهم ينكرون اعادة الأرواح الى الأجسام ، فقيل على هذا (**أصحاب الجنة..**) الآية . ومنه : **(وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده، وهو أهون عليه) على التسليم أن أحدهما أهون من الآخر فيما يسبق الى نفوس العقلاء .**

● **ومن أروع وجوه المبالغة فى القرآن العظيم، والتى تشهد بآيات اعجازه : حذف الأجوبة زيادة فى المبالغة . كقوله تعالى : (ولو ترى اذ وقفوا على النار (٢٨)** وقوله سبحانه : **(ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب) (٢٩) وقوله سبحانه : (ص . والقرآن ذى الذكر) (٣٠)** كأنه قيل : لجاء الحق ، أو لعظم الأمر ، أو لجاء بالصدق .. كل ذلك يذهب اليه الوهم لما فيه من التفخيم ، والحذف هنا أبلغ من الذكر ، لأن الذكر يقتصر على وجه ، والحذف يذهب فيه الوهم الى كل وجه من وجوه التعظيم ، لما قد تضمنه من التفخيم .

وبعد — فان صيغ المبالغة فى القرآن المجيد كثيرة كثيرة ، حتى ليصعب حصرها . اخترت منها ما يناسب المقام ويسمح به المقال ، ومن المهم أن نعرف ان صيغ المبالغة بمضمونها ومشمولها انما تشهد بقدرة الحق وعظمته ، وسر ابداعه لآيات كتابه ، كما أبدع كونه ، وكما أبدع خلقه .

---

(١٩) الأنعام ١٠٢
(٢٠) الفجر ٢٢
(٢١) النحل ٢٦
(٢٢) الأحزاب ١٠
(٢٣) ابراهيم ٤٦
(٢٤) الاعراف ٤٠
(٢٥) سبا ٢٤
(٢٦) الزخرف ٨١
(٢٧) الفرقان ٢٤
(٢٨) الأنعام ٢٧
(٢٩) البقرة ١٦٥
(٣٠) سورة ص ١